هوامش

بات ولع الجيل الجديد في الجزائر باقتناء وتربية الحيوانات الأليفة، خصوصاً القطط والكلاب، واضحاً ومثيراً للانتباه. فهل يؤشّر ذلك إلى حالة تقليد عفوية لنمط العيش الغربي أم إنّ للظاهرة خلفيات أخرى؟

يحرص على الاهتمام بكلبه (إسراء حاجي أوغلو/ الأناضول)

شباب الجزائر
شغف بتربية القطط والكلاب

الجزائر ـ **عبد الرزاق بوكبة**

ليس غريباً عن الجزائريين تربية القطط والكلاب في بيوتهم، خصوصاً في المناطق الريفيّة، إذ يكاد لا يخلو بيت من قطّ وكلب، وربّما أكثر؛ بل إنّ بعض المناطق تُسمّي الكلب «مول الدّار» أي صاحب البيت، و«العسّاس» أي الحارس، ما يشير إلى أنّ تربية هذين الحيوانين الأليفين اللذين نجد لهما حضوراً في رسومات ما قبل التاريخ في بعض الجداريات الجزائرية لم تكن للاستئناس والتظاهر بل لدواع وظيفية مثل الصيد والحراسة.

غير أنّ عادة تربية القطط والكلاب لدى قطاع واسع من الجزائريين، خصوصاً الشباب منهم، باتت خلال السنوات الأخيرة موضةً وشغفاً عامين بعيداً عن الدواعي التقليديّة. والدليل أنّها تنتشر في المدن أكثر من الأرياف. وقد نجد قطاً أو كلباً أو كليهما في شقة ضيقة داخل عمارة يعاني أصحابها أصلاً من إيجاد فسحة مريحة للنوم.

وترتبت عن هذه الموضة أو الشغف تجارة وأسواق بعضها مختص في بيع وتبادل القطط والكلاب نفسها، وبعضها مختصّ في اللوازم المتعلّقة بها من أطعمة وغرف للنوم ومواد للزينة والتنظيف، باتت تدرّ أرباحاً على أصحابها.

ويقول عز الدين ب. (36 عاماً) لـ «العربي الجديد» إنّه كان صاحب مقهى في الجزائر العاصمة، لكنه أغلقه في ظلّ ما ترتّب عن وباء كورونا خلال السنوات الثلاث الأخيرة، من تكرار غلق الفضاءات التجارية الشعبية، وفتحَ محلاً لبيع الحيوانات الأليفة مثل الأرانب والعصافير والسلاحف والقطط والجراء، «فوجدتُ أنّ أرباحي المالية لم تقل عمّا كنت أجنيه من المقهى الذي يُعرف بكونه البيت الثاني للجزائري، بل إنّها تزيد في بعض المواسم مثل الصّيف الذي تكثر فيه الأفراح العائلية، ذلك أنّ بعض الحيوانات، وخصوصاً القطط، باتت تُهدى في مثل هذه المناسبات بعدما كان الإهداء يقتصر على السلع المادية».

ويؤكد عز الدين لـ «العربي الجديد» أنّ زبائنه شابات وشبان من الجيل الجديد. وإذا حدث أن كان أحدهم متقدماً في السن، فهو لا يقتني قطاً أو جرواً لنفسه، بل لأحد من أطفال أو شباب العائلة. ويقول إنّها «تجارة شبابيّة بامتياز، وتركد من دونهم. فهم يبذلون جهوداً كبيرة ويوميّة في الدّفاع عن بقاء حيواناتهم في البيت أمام رفض الآباء والأجداد لها، في إطار اختلاف أمزجة الأجيال داخل البيت الجزائري. فلطالما عادت إليّ حيوانات بعتها بسبب ذلك الرفض». ولأنها تجارة شبابية، يرى عز الدين أنّ «هناك نوعاً من التفاخر بين الشباب، تماماً مثل السيارات. فتجد الإقبال على أعلاها سعراً أكثر من تلك التي تباع بأسعار منخفضة، بالإضافة إلى اللوازم المتعلقة بها. فالشاب الجزائري قد لا يملك هاتفاً جيداً لكنّه يتفاخر بكونه يملك قطّاً أو عصفوراً أو كلباً من فصيلة نادرة. وقد لا يذكر طعامه لكنّه يتفاخر أمام أقرانه بأنّ كلبه يأكل بشكل جيد».

شغف موقف فكريّ

يقرأ الأكاديميّ محمّد الأمين لعلاونة شغف الجيل الجديد باقتناء وتربية القطط والكلاب خلال السنوات الأخيرة من زاوية تمثّل الحياة الغربية، في انفتاح عليها أتاحته الوسائط الجديدة، ومِن زاوية شعور شبابي عام بالاغتراب داخل المجتمع. ويشرح فكرته بالقول: «لم يعد الشّاب الجزائري الذي فتح عينيه وتفتح وعيه بعد عشرية العنف والإرهاب في تسعينيات القرن العشرين، بكل ما شابها من فساد عام، يشعر بالانتماء نفسياً وفكرياً إلى المجموعة الوطنية. هذا لا يعني أنّه ليس وطنيّاً، إذ يظهر ذلك جلياً في مباريات الفريق الوطني. بل إنه لا يجد ذاته داخل ما يعتبره نفاقاً وكذباً باسم الدين والوطن. من هنا انتعشت ظاهرة الهجرة السرية التي هي في حقيقتها استبدال مفهوم حضاري بمفهوم لا استبدال وطن بآخر». يضيف: «دفع هذا الشعور بالاغتراب قطاعاً واسعاً من الشباب للاستئناس بالحيوانات الأليفة بصفته موقفاً نفسياً وفلسفياً من المنظومات القائمة بما فيها المنظومة العائلية». ويدلّل على ذلك بالقول إنّ «بعض الشباب يقضون أوقاتاً مع كلابهم أطول من تلك التي يقضونها مع آبائهم وأشقائهم».

باختصار

عادة تربية القطط والكلاب لدى الجزائريين، خصوصاً الشباب، باتت خلال السنوات الأخيرة موضةً وشغفاً عامين بعيداً عن الدواعي التقليديّة

■■■

دفع الشعور بالاغتراب قطاعاً من الشباب للاستئناس بالحيوانات الأليفة بصفته موقفاً نفسياً وفلسفياً من المنظومات القائمة بما فيها العائلية

■■■

يقضي بعض الشباب أوقاتاً مع كلابهم أطول من تلك التي يقضونها مع آبائهم وأشقائهم

ضغوط المرحلة

خلال الأشهر الأخيرة، بدأت تظهر مجموعات على مواقع التواصل الاجتماعي تُعنى بإيجاد من يتبنى الحيوانات الأليفة، وخصوصاً القطط والكلاب، بل إنّ هذه النزعة باتت متبناة من قبل بعض الجمعيات الميدانية المعنية بالأنشطة الخيرية والإنسانية. ويقول الطالب والناشط نوفل محمد موتح إنّ «تزايد عدد القطط التي يتخلّى عنها أصحابها، فتتشرّد في الأزقّة والطرقات، بات مثيراً للانتباه في أكثر من مدينة جزائرية، منها مدينة الأغواط (400 كيلومتر إلى الجنوب من الجزائر العاصمة)، ما دفع إحدى الطبيبات البيطريات إلى إطلاق مبادرة إنسانية لتوفير بيوت صغيرة للقطط توضع في الأماكن العامة وتكون في متناول الناس، فيقدمون لها الطعام والرعاية».

وعن السبب الذي يجعل الشباب لا يبيعون حيواناتهم عوضاً عن التخلي عنها من غير مقابل، يقول إنها «عادةً ما تكون قد شبت عن الطوق، بما يجعلها مستعصية على التأقلم مع مالك جديد، فيزهد فيها تجّار الحيوانات كونها لم تعد أليفة في نظرهم، وسوف يتعبون في إيجاد من يشتريها».

عند مدخل عيادة بيطرية في مدينة المسيلة حيث خصّص حيّز لاستقبال وعلاج القطط والكلاب المتشرّدة، وحيز آخر مخصّص للتبني، لاحظنا كثرة الإقبال على الأوّل وقلته على الثاني. ويقول الشاب الجامعي محمد (22 عاماً) إنّه أحضر قطّه إلى هذا المكان الآمن بعدما فشل في إيجاد من يشتريه منه. ويوضح: «لم تطاوعني نفسي أن أتخلّى عنه بطريقة تجعله يقع في التّشرّد، فيُؤذى بشكل مباشر وغير مباشر. لا تنسَ أنّه بات من هوايات الطفل في الجزائر، في إطار تنامي نزعة العنف لديه، قذف القطط والكلاب بالحجارة. هنا على الأقل يضمن المأوى والطعام».

ويبرّر تخلّيه عن قطّه بكونه لم يعد قادراً على تحمّل الأعباء المالية لتربيته. ويقول: «ارتفعت تكاليف المعيشة مؤخّراً. مائدة رمضان هذا العام كانت أفقر منها في الأعوام السابقة. ونحن لا ندري ما يؤول إليه الوضع مستقبلاً. لذلك، بات التقشف واجباً، إن لم يكن من باب الحاجة الآنية فمن باب الاحتياط».

ويقول محمد إنّه «كان يشتري لقطّه اللحم الأحمر والأبيض والسمك والجبن، فهو لا يأكل العجائن أو أيّ طعام يتوفّر، بالإضافة إلى أنّ له موادّ تنظيف خاصّة، ومواعيد تلقيح عند الطبيب البيطري». ويختم حديثه قائلاً: «كنت في السابق أدافع عن وجود شيدر في البيت. هذا هو اسمه أمام رفض أبي له، لكن لم أعد قادراً على ذلك بسبب أنّ مصروفه بات مقتطعاً من مصروفي الخاصّ».

حتى وإن دفعت الظروف المعيشية الصعبة التي باتت تؤرق الجزائريين إلى تخلي البعض عن حيواناتهم الأليفة أو تراجع وتيرة الاقتناء لديهم، فإنّ شغفهم بها باقٍ ما يجعل الأمر ظاهرة اجتماعيّة جديرة بالدراسة.

وأخيراً

ملح الكتابة في الجرح

سعدية مفرح

لماذا لا نقوى على تجاهل ما حلّ بنا، ونحن نقاوم الرغبة في الموت أو البكاء، أو الغناء، أو الكتابة، أو الضحك .. أو حتى مماحكة الآخرين في قضايا غير مهمة؟

لماذا لا نستطيع تجاهل الرغبة في الكتابة، ونحن نعيش أضعف حالاتنا الإنسانية، فتكون للكلمات هيئة الدموع في المآقي وطعم الملح في الجرح المفتوح. ومع هذا، نستمرّ فيها كهذيانٍ بلا معنى واضح، وغموضٍ بلا مفاتيح؟

لا أكاد أصل إلى أي إجابةٍ عن سؤال الكتابة رغم أنه سؤالٌ ملحّ، ويباغتني في كل مرّة أقدم فيها على الكتابة شعراً ونثراً. وأظن أنه السؤال المفضل والصعب أيضا لدى كل من مارسوا حرفة الكتابة منذ اكتشفوا قدرتها على انتشالهم من حالةٍ تراوح ما بين البكاء والموت.

بالنسبة لي، كنت أطارد ذلك السؤال دائما، وأظن أن معظم كتاباتي في السنوات الأخيرة هي محاولة للإجابة عنه، أو حتى مدافعته ولو مؤقتا، لكنه يبقى دائما مفتوحا كجرح مؤلم، وإن كان تحسّسه بطرف الإصبع أحيانا يغمرنا بلذةٍ خفيةٍ لا نستطيع تبيّن سببها الحقيقي. يبقى جرحي الخفي نازفا أنهار الحبر الافتراضي ما بين أحرف لوحة المفاتيح وأنا أنقرها ببعض أصابعي. أخترع الكلمات، وأرصف السطور جملةً وراء جملة، وأهتم كثيرا بمشاعري التي تعبر عنها علامات الترقيم وحركات اللغة. أقاوم كل رغباتي التي تحاصرني بإلحاح وقت الكتابة، لكي أستقلّ وحدي مع اللغة، وأنجح دائما في استقلالي المؤقت بعيدا عن كل ما يمكن أن يعكّر صفو أصابعي، وهي تمارس هواية النقر على لوحة المفاتيح بطريقةٍ شبه آلية أحيانا.

أستدرج الذاكرة الهرمة لتنهمر عليّ بما ظننته قد اختفى تحت ركام الأيام. لعبة مسلية أمارسها مع ذاكرتي كلما استعصت علي الكلمات، ودائما أنجح في نهاية اللعبة لأنني اكتشفت ذلك السبيل الآمن الممتدّ ما بين الذاكرة والكلمات. أكتب إذن لأن الكتابة وسيلة للعبور إلى الضفة الأخرى التي لا أعرف ما هي وماذا يوجد فيها بالضبط، ولا ما ينتظرني على تخومها، فالكتابة حالة مدجّجة بالأسئلة المفتوحة، ولا غضاضة في المضي فيها بلا إجابات نهائية. ولهذا أجدني وأنا أكتب، كل كتابة مهما كان صنفها أو الاسم الذي يطلقه عليها الآخرون، ذلك أنني لا أحبّ التسميات وأنزعج من التصنيف،

> لا ينبغي على أحد أن يظن أن النقطة الأخيرة التي تنتهي بها آخر جملة في أي نص نكتبه، يمكن أن تكون نقطة النهاية

أعيش ظرفا طارئا مهما بدا لي أو للقارئ من بعد ذلك حالة استقرار، فالاستقرار هو عدو الإبداع الأول وربما الأخير. وبالتالي، لا ينبغي على أحدٍ أن يظن أن النقطة الأخيرة التي تنتهي بها آخر جملة في أي نص نكتبه يمكن أن تكون نقطة النهاية. فلا نهاية في الكتابة، ولا بداية أيضا ولا وصول، وإن حاولنا تجاهل تلك الحقيقة المختبئة بين السطور ووراء الكلمات كأسرار عصيةٍ على التأويل أو توهمنا أننا وصلنا أو نجحنا أخيرا، فالنجاح الحقيقي الوحيد الذي أعترف به ويفرحني وأنا انغمر بلجّة الأحرف وصخب الكلمات هو نجاح الاستمرار في البقاء على قيد الكتابة دائما، والارتواء من مائها الملّح بالدموع والمسيج بالضحكات!

نستمر إذن في الكتابة، ونعيش سؤالها الكبير، وأسئلتها الملحّة الأصغر، ولا ننزعج من فشلنا في الوصول الى إجاباتٍ كبيرة أو صغيرة، فليس من نجاحاتنا فيها الوصول الى إجابات، بل نبش مزيد من الأسئلة بواسطة تفكيك الذاكرة عبر اللغة وحدها .. وهذا مجدٌ كبيرٌ وفرحةٌ أكبر لو تعلمون.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **دينارات**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ **CHF 3,50** Switzerland, **€ 2,20** Spain, **€ 2,10** Italy, **€ 2,30** Holland, **€ 2,30** Germany, **€ 2,20** France, **€ 2,20** Belgium, **€ 2,20** Austria, **£ 1,20** UK
TL 5,00 Turkey, **$ 2,00** USA